

### ١- تعريف .

(أ) الحوار :

هذا المصطلح مُعرّف في قاموس الأكاديمية الملكية الأسبانية هكذا : من اللغة اللاتينية : *dialogus* وهذا يأتي من اليونانية :

????????

- ١ - [ م .] محادثة بين شخصين أو أكثر ، يُعربون بالتبادل عن أفكارهم أو مشاعرهم .
- ٢ - [ م .] نوع من العمل الأدبي ، نثر أو شعر ، يُمثّل فيه حوار أو جدال بين شخصين أو أكثر .
- ٣ - [ م .] نقاش أو مفاوضات للوصول إلى اتفاق .

من الواضح إذاً أنه - باستثناء المعنى الثاني - فإن المعنيين الآخرين يوحيان بتبادل للأفكار أو الأحكام أو الآراء من خلال الكلمات ، بهدف الوصول إلى اتفاق . وبالفعل فإن أصل اشتقاق هذا المصطلح يحدثنا عن *الكلمة* ( لوجوس ) التي يُعبّر عنها من خلال شيء ما ، أو " واسطة " ما ( dia ) . إذ أن " لوجوس " باليونانية لا تعطي فقط معنى كلمة بالمفهوم النحوي بل تعني " كلمة ذات مضمون " ، ذات فكرة . المقصود إذًا هو توضيح شيء مفهوم وأن يفهم الآخرون ما نريده من خلال هذه الكلمة . وحين يحدث هذا بين مخلوقات عاقلة فإنه يستلزم بالضرورة انفتاحًا نحو الآخر متضمنًا أيضًا انفتاحًا من خلال المشاعر . ولذلك فإن المضمون الفعلي للمصطلح يكون واسعًا جدًا . سنرى كيف استقبل التعليم الكنسي ذلك المضمون بطريقة ملموسة .

( ب ) الحوار في التعليم الكنسي :

أول إعلان رسمي مهم في التعليم الكنسي يظهر فيه شرحٌ وافٍ عن مفهوم الحوار يُعطى في الرسالة العامة " كنيسته " *Ecclesiam Suam* للبابا بولس السادس التي صدرت في السادس من أغسطس ( آب ) ١٩٦٤ وُزعت على الآباء المشتركين في المجمع الفاتيكاني الثاني في الخامس عشر من سبتمبر ( أيلول ) . فلننتبه : حيث أننا اليوم عندما نتحدث عن الحوار فإننا نفهم - بطريقة حصرية تقريبًا - أن المقصود من ذلك هو الحوار بين الأديان ، بينما الرؤية المتزنة والتامة - كتلك التي عرضها بولس السادس - تُرينا أن الحوار بين الأديان يمثل مظهرًا واحدًا فقط من الحوار بين الكنيسة والعالم . وبالفعل ، فإن الرسالة العامة " كنيسته " *Ecclesiam Suam* سبقت البيان " علاقات الكنيسة بالأديان غير المسيحية " *Nostra Aetate* ( التي تتحدث عن الحرية الدينية ) وسبقت كذلك القرار " نشاط الكنيسة الإرسالي " *Ad Gentes* اللذين صدرتا بعدها بعام . أي أنه قبل الدخول في تفاصيل موضوع الحرية الدينية والعلاقة مع غير المسيحيين ، فإن التعليم الكنسي كان قد حدد مسبقًا ماذا يقصد بالحوار .

حسب رأي المتخصصة الدكتورة ياريا مورالي<sup>١</sup> Llaría Morali ، فإنه توجد ثلاث نقاط يمكن أن نلخص بها مفهوم بولس

السادس عن التعليم الكنسي فيما يختص بالحوار في الرسالة العامة السابق ذكرها :

(١) يعتقد البابا بولس السادس أن التفكير المختص بالحوار ينبغي أن يسبقه التفكير حول وعي الكنيسة . فالمؤمن

يجب أن يكون لديه وعي عن الدعوة التي استقبلها في المعمودية . إذ أن نسيان هذه الكرامة المكتسبة من خلال النعمة يعني

١ - متخصصة في لاهوت النعمة ، وأستاذة مسؤولة عن اللاهوت العقائدي في كلية اللاهوت التابعة للجامعة الحبرية الجريجورانية . نُشر رأيها في مجلة الخدمة الإخبارية Zenit ، باللغة الأسبانية ، الصادرة في ١٢/٥/٢٠٠٥ .

فقدان الإدراك حول الهوية الخاصة (" تتميز الكنيسة بطريقة عميقة عن المحيط البشري " ؛ " وهذا الاختلاف ينبع كذلك من الواقع وكنتيجة للتبرير الذي يحصل فينا بواسطة الاتصال بالسر الفصحى في العماد المقدس قبل أي شيء آخر ... " ؛ " من المناسب أن يكون لدى المسيحي اليوم هذا الوعي الدائم فيما يختص بطريقة الحياة هذه - الفريدة والجديرة بالإعجاب - ... " (٢).

(٢) في المقام الثاني : إن النموذج المثالي للحوار الذي تقيمه الكنيسة مع العالم - وبالتالي الحوار بين الأديان أيضاً - هو ما يطلق عليه "el colloquium salutis" أي ( حوار الخلاص ) الذي أقامه الله مع البشرية في المسيح ( فالديانة نفسها من حيث كونها علاقة الإنسان بالله ، تفترض وجود اثنين يتحدثان وبالتالي يُعدُّ هذا حواراً ) . يجب أن تستلهم الكنيسة من هذا المثال في تقرّبها من العالم .

(٣) في المقام الثالث : هذا الإهتمام يجب أن يترجم إلى رعاية رسولية وإلى عمل إرسالي : فكلمة حوار هي بالضبط الاسم الذي يطلقه بولس السادس على دَفْعَةِ المحبة الداخلية التي تنزع إلى أن تصير عطية محبة خارجية : " إن الواجب المواكب منذ نشأته للتراث المُتَسَلَّم من المسيح هو النشر والتقديم وهو الإعلان ، وكما نعلم جيداً فإن : اذهبوا إذا وتلمذوا جميع الأمم ( متى ١٩/٢٨ ) ، هي أعظم وصية من المسيح لرسله . ونحن سنطلق على الدَفْعَةِ الداخلية للمحبة الاسم الشائع اليوم ألا وهو الحوار "٣ . وهذا هو أول تعريف لكلمة " حوار " تاريخياً ، من قِبَل التعليم الكنسي . ونجد أن الحبر الأعظم يقدمه مباشرة بعد مرجع متى ( ١٩/٢٨ ) المتعلق بالأمر الإرسالي . لا يمكن أن يوجد التباس فيما يختص بالعلاقة الوطيدة بين الحوار والرسالة . وهذان المفهومان لا يرفض أحدهما الآخر بتاتا ، بل أكثر من ذلك نجد أن المفهوم الأول ، أي الحوار ، هو أحد أشكال الرسالة .

تؤكد مورالي (Morali) قائلة: " إنني أعتقد بالحقيقة أن ثمة عقيدة للحوار قد بدأت في التواجد منذ حوالي أربعين سنة . عقيدة بمفهوم تعليم يحتوي على توجيهات التعليم الكنسي الذي يضع بدوره حدوداً دقيقة وواضحة للتعريف الخاص بالحوار وبممارسته . إذا نسينا هذا فإننا نواجه خطورة الوقوع في رؤية متعلقة بالحوار تختلف عن رؤية من أدخلوها في المفردات الكنسية "

هكذا نرى في الرسالة العامة " كنيسته " Ecclesiam Suam أن البابا يتحدث عن قاعدة ثالثة للسلوك يتعين على الكنيسة أن تسلكها في هذا الوقت من تاريخ العالم ، ألا وهي دراسة " الاتصالات التي يجب أن تجرّهما مع البشرية " : " يجب على الكنيسة أن تتحاور مع العالم الذي تعيش فيه . الكنيسة تجعل من ذاتها كلمة ؛ إنها تجعل من ذاتها رسالة وخبراً وتجعل من ذاتها حواراً "٤ . ويطلب منها بالتالي فعل ذلك مع عالم متعدد الأوجه تسوده معتقدات وأيديولوجيات وديانات مختلفة عن المسيحية . من هنا تأتي أهمية الحوار بين الأديان من حيث هو تكملة للرسالة وللأمر الذي أعطاه المسيح لحمل الإنجيل لكل الأمم .

(ج) إمكانية وضرورة الحوار بين الديانات :

(بالنسبة لهذا الجزء نرجع إلى كتاب الأب خوسيه أنطونيو ماركوني ، رهبانية الكلمة المتجسد (ك . م . ٠) : الحوار بين الأديان في مطلع الألفية الثالثة ( مقدمة للحوار مع غير المسيحيين ) ، مطبوعات الكلمة المتجسد (Arequipa 2002) وخصوصاً رقم ٢ من الفصل الأول : الحوار بين الأديان .

إن كلمة ديانة (Religion) - من حيث أصل اشتقاق الكلمة - تتكون من الجزئين :

٢ - بولس السادس ، كنيسته ، ٦٠ ، ٦٢-٦٣ .

٣ - نفس المرجع ، ٦٦ .

٤ - نفس المرجع ، ٦٧ .

(إعادة = re و وصل = ligare) ( volver a ligar = إعادة الوصل). هذا التعريف هو بحسب لاکتانتیو (Lactancio). أو من الجزئين : ( إعادة = re واختيار = eligere) ( volver a elegir = إعادة الاختيار). وهذا التعريف هو بحسب القديس أوغسطينس (San Agustín). وفي كلتا الحالتين المقصود هو "علاقة الإنسان بالله"، وهي بالتأكيد علاقة طبيعية إذ أن الله خلق الإنسان ومنحه قدرات روحية (مثل الفهم العقلي والإرادة) حتى يعرفه ويدخل في علاقة معه تعالى. إن الرسالة إلى العبرانيين عندما تتحدث عن أخنوخ - الذي هو شخص سابق لأي عهد بين الله والبشر وسابق لأي إعلان إيجابي من الله عن نفسه - فإنها تذكر عندئذ خصائص الديانة الطبيعية (إذ أن أخنوخ أرضى الله وحُمل إلى السماء). نقرأ في عبرانيين ٦/١١: "وبغير الإيمان يستحيل نيل رضى الله، لأنه يجب على الذي يتقرب إلى الله أن يؤمن بأنه موجود وأنه يجازي الذين يبتغونه". بالتالي فإن كلمة ديانة (بطريقة طبيعية) تتطلب:

أ) الاعتراف بوجود الله.

ب) من قِبَل الإنسان (معرفة عقلية وواعية).

ج) الاعتراف بالتبعية لله، ويتساوى في ذلك الكون والإنسان.

د) التعبير الخارجي المنظور عن هذه التبعية: فردياً وجماعياً.

وبما أن هذه الظاهرة تحدث بطريقة طبيعية خارج المسيحية - وكذلك من قِبَل ظهور المسيحية - لذلك نستطيع أن نتكلم عن ديانة طبيعية وبالتالي نتحدث أيضاً عن وجود "ديانات مختلفة"، ولكن هذا لا يعني بتاتا إعطاءها نفس القيمة. فإذا توجد ديانات مختلفة يحق لنا أن نتحدث عن حوار بين الأديان دون أن نخش التباساً في المصطلح ولكن مع حرصنا على أخذ الاحتياطات المناسبة للاستخدام الصالح له. بالتالي نستطيع أن نعرفه بـ "الحوار الذي تقيمه الكنيسة الكاثوليكية مع الأشخاص أو مع الأديان التي تؤمن بالله ولكنها لا تعرف أو لا تقبل الإعلان المسيحي، وبالتالي لا تؤمن بأن المسيح هو الوسيط الوحيد بين الله والناس".<sup>٥</sup> بذلك يكون الهدف الأساسي من الحوار بين الأديان هو الديانات غير المسيحية وليست الديانات المسيحية المنفصلة عن الكنيسة الكاثوليكية. ويطلق على الحوار والعلاقات مع هذه الفئة الأخيرة اسماً خاصاً ألا وهو الحوار المسكوني.

## ٢ - مسألة ضم غير المسيحيين وخلصهم.

خلال انعقاد المجمع صدر الدستور العقائدي عن الكنيسة: "Lumen Gentium" (نور الأمم) يوم ٢١ نوفمبر (تشرين الثاني) سابقاً بعام صدور البيان: "علاقات الكنيسة بالأديان غير المسيحية" "Nostra Aetate" والصادر في يوم ٢٨ أكتوبر (تشرين الأول) سنة ١٩٦٥ وقبل صدور القرار "نشاط الكنيسة الإرسالي" "Ad Gentes" في السابع من ديسمبر (كانون الأول) سنة ١٩٦٥. وبذلك يكون الدستور العقائدي: "الكنيسة" هو أول وثيقة من التعليم الكنسي تقدم جزءاً كاملاً مخصصاً لغير المسيحيين وهو رقم ١٦. وبما أن العقيدة الخاصة بالحوار قد تبلورت بمبادئها الأساسية في "الرسالة العامة: كنيسته" "Ecclesiam Suam" الصادرة بينما كان الرقم ١٦ من "الكنيسة" "Lumen Gentium" في المراحل النهائية من صياغته، نستطيع إذاً أن نقول أنه توجد علاقة مميزة بين التعليم الخاص بالحوار والمقترح من بولس السادس وبين العقيدة التي تطرحها "الكنيسة" "Lumen Gentium" رقم ١٦ - حول غير المسيحيين.

لكي نلخص التعليم الخاص بما سبق، نستطيع أن نقول:

١) الذين لم يستقبلوا الانجيل بعد، يُصنّفون بترتيب مختلف بحسب قرهم لشعب الله.<sup>٦</sup>

٥ - ماركوني خ. أ.، (ك.م.٠): الحوار بين الأديان في مطلع الألفية الثالثة ... ٤٥.

٦ - في هذا المجال يعلن المجمع أنه في تناغم تام مع عقيدة درجات الانتماء إلى الكنيسة التي قدمها وأرساها القديس توما الأكويني في الخلاصة اللاهوتية الجزء الثالث، فصل ٨، رقم ٣، ضد ١.

- في المقام الأول يأتي شعب المواعيد والعهد والذي منه ينحدر المسيح بحسب الجسد (راجع رو ٩/٤-٥).
- أولئك الذين يعترفون بالخالق، وخصوصًا المسلمون، الذين يعترفون بأن لديهم إيمان إبراهيم ويعبدون الإله الأوحد الذي سيدين البشر في الدينونة الأخيرة.
- الذين يبحثون عن الإله المجهول في الصور والتماثيل ليسوا ببعدين، حيث أن الله هو معطي الحياة وهو معطي كل شيءٍ للجميع (راجع أع ١٧/٢٥-٢٨)، وهو كمخلص يريد أن يخلص جميع الناس (راجع ١ تيم ٢/٤).

٢) إن كل الذين لا يعرفون إنجيل المسيح وكنيسته - بدون ذنب منهم - ، ولكنهم يبحثون بأمانة عن الله وبمعونة النعمة الإلهية يجتهدون لتتميم المشيئة الإلهية بأعمالهم - تلك المشيئة التي يتعرفون عليها بواسطة بما يمليه عليهم ضميرهم - هؤلاء يمكنهم الحصول على الخلاص الأبدي . إن العناية الإلهية لا تمتنع عن منح مساعدتها لهؤلاء الذين يجتهدون - " وذلك لا يكون بدون النعمة الإلهية " - لاتباع الطريق القويم . إن كل ما نجده من صلاح وحقيقة في داخلهم يعتبر كتخصير لاستقبال الإنجيل<sup>٧</sup>.

٣) ينخدع البشر في كثير من الأحيان بفعل الشيطان فيضلون بأفكارهم ويستبدلون الحقيقة الإلهية بأعمال أيديهم ، عابدين المخلوق قبل الخالق (١ رو ١/٢١ ، ٢٥) أي أنهم يعيشون ويموتون بدون الله في هذا العالم .

٤) لهذا السبب فإن الكنيسة متذكرة وصية الرب (مر ١٦/١٥) ، تسعى باهتمام إلى تنمية الإرساليات .

### ٣ - أساس الحوار بين الأديان .

إن الإمكانية الملموسة لخلاص غير المسيحيين هي إذا ما يدفع الكنيسة إلى التحرك باتجاه الالتزام بالدخول في علاقة معهم . هذه العلاقة هي التي تُعرّف باسم الحوار بين الأديان ، وبناء على ذلك فإن هذا الحوار يظل داخل إطار التقليد الخاص بالعهد الجديد (الكتابي) وكذلك داخل بقية التقليد الكنسي .

هذا الصدد ، تتحدث الرسالة العامة "كنيسته" عن دوائر موحدة المركز حيث يمكن لهذا الحوار أن يصل إلى غايته . تتكون الدائرة الأولى من البشرية - كبشرية - إذ أننا نرتبط بكل ما هو بشري وجمعنا بالبشرية أشياء كثيرة مشتركة مثل الحياة بكل عطاياها ومشاكلها . إننا لدينا الفطنة الكافية للمشاركة في هذا المستوى الأول من الشمولية<sup>٨</sup> . ولكن للأسف يواجهنا في هذه الدائرة الأولى عائق الإلحاد ، وهو عقبة حقيقية أمام الحوار ، كما أنه " الظاهرة الأكثر خطورة في عصرنا " - بحسب كلمات البابا .

٩

تتكون الدائرة الثانية من المؤمنين بالله ، الإله الأوحد والأعظم وهو نفس الإله الذي نعبده نحن . وهنا تذكر الرسالة العامة بوضوح " أبناء الشعب العبراني " وكذلك " من يعبدون الله بحسب مفهوم الديانة التوحيدية ، وخصوصًا الديانة الإسلامية ، كما تذكر أيضًا أتباع الديانات الأفروآسيوية الكبيرة " . وتؤكد الرسالة العامة بطريقة جميلة جدًا " أننا لا نستطيع بدهيًا أن نتقاسم معهم مثل هذه التعبيرات الدينية (متجنبة بذلك أي خطر للوقوع في المعتقد الموحد Sincretismo\*) (ولا أن نظل غير مبالين كما لو كانت كلها متعادلة ، فيتسبب ذلك في ألا يتحقق مؤمنينا من أن الله نفسه قد أعلن الطريقة - المنزهة عن كل خطأ - والكاملة والنهائية التي يريد من خلالها أن يُعرف وأن يُحَب وأن يُخدَم . كما أنه لمن دواعي الأمانة أن نُظهر تيقننا من أننا نمتلك الديانة الوحيدة حقًا ألا وهي الديانة المسيحية وأن نغذي الرجاء في أن يعرف كل من يعبدون الله ويؤمنون به أنها كذلك "

٧- هذا الجزء الأخير هو أيضًا ليس جديدًا تمامًا . يذكر المجمع مباشرة عمل أوزبيو الذي من قيصرية: التحضير للإنجيل Preparatio Evangelica . ١ ، ١ : ص ٢١ ، ٢٨ AB .

٨- راجع " كنيسته " ، ١٠١ .

٩- راجع " كنيسته " ، ١٠٣ ، ٤ .

١٠. إننا نرى بالتالي كيف أن البابا يعبر عن رغبة معلنة في الانخراط في الحوار بين الأديان ، ليس لأن كل الأديان هي متساوية بل بالعكس لأنها بالضبط ليست كذلك (واحدة من شروط الحوار هي التعددية ، أي التنوع ؛ إذ لا يستطيع أحد أن يحاور نفسه) ، مع الاحتفاظ بالهوية الخاصة وعدم استبدال الرسالة بل بالأحرى جعلها تكتسب دفعة جديدة . وبالطبع فإن الرسالة العامة تستعيد القيم الإيجابية الموجودة في المعتقدات الأخرى وتعبّر عن اعترافها بها باحترام شديد .

بعض النقاط الإضافية حول الحوار بين الأديان نأخذها من التعليم المستفيض للبابا يوحنا بولس الثاني : " إن الحوار بين الأديان هو منهج ووسيلة للمعرفة والغنى المتبادل . ... كما أنه جزء من الرسالة التبشيرية للكنيسة ؛ وهو لا يتناقض مع رسالة النشاط الإرسالي للكنيسة ( *ad gentes* ) ؛ بل لديه روابط خاصة مع تلك الرسالة وهو تعبير عنها ... " ١١

---

١٠- راجع " كنيسته " ١١١ .

١١- راجع يوحنا بولس الثاني : رسالة الفادي ، ٥٥ Redemptoris Missio